مجلة شهرية ثقافية جامعة

إبداع

ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

الإنسان غداً

ماذا يمكن أن يكون؟

مقال ... مقال ... مقال

عباس محمود العقاد

العجوز والجريدة — صلاح عبد الصبور

كهوف الرعد — مذكرات عربي عاش في إسكندنافيا منذ ألف عام — احمد البقالي

باريس وجنيه لا يعترف التجاعيد — كمال سعد

عبد الكريم قلالب

الإعلام بين الأوروبيين والعرب

ما يزال الشعب العربي يعيش تحت إرهاب الاعلام الأجنبي - الأمريكي منه والأوربي على السواء - وما تزال شعوب أوربا وأمريكا تعيش تحت ما يمكن أن نسميه أيضا إرهاب الاعلام العربي فرق كبير بين الارهابيين ومصادر الارهاب في كل من الاعلامين

مظهر الارهاب في الاعلام الأوربي بالنسبة للوطن العربي أن الدول العربية تقع في نطاق التخلف - وأن المواطن العربي جاهل ومع ذلك يعيش - معظم شعوبه - حياة نابلية من الفقر والبطالة والجوع - وهو يعتد على الانسان غير العربي وغير المسلم ويدافع بالشفوية وغير قليل للتعاون - وهو عنصري يكره اليهود ويحتقرهم وإذا امتلك قوة الشعر طيهم الحرب وحاول تدميرهم ورميهم إلى البحر - وهو عنيف حتى مع أبناء بني جلدته - وهو يضطهد المرأة ويقسو على الطفل ويقتل القطة والكلب - يتكلم ولا يتكلف - يرتاني ويعشر المال - ولا يتعامل مع الحضارة الغربية إلا من جانبها القذر - والبلاد العربية تمتلك مصادر الطاقة ولكنها ترغب بواسطتها أن تخنق الحضارة الحديثة فترفع الأسعار وتحد من الانتاج وتسبب للعالم تضخما ساحقا - وتهدد من حين لآخر بتقليص الدول الكبرى عن طريق سحب أرصدتها من البنوك الغربية - وهي تلعب بين الشرق والغرب فلا يستقر لها قرار - وتساهم في التوتر الدولي وهي لا ترغب في الاعتراف بدولة صغيرة مظلومة وجدت وطنها أخيرا هي اسرائيل ...

تلك هي الصورة التي ترتسم أمام الاعلام الأجنبي عن الوطن العربي والمواطن العربي ويذيعونها في بعض فترات النكبة العربية في تلفازهم ملونة وسودا، على بياض وبكل فنون التصوير ولا تخدم هذه الصورة القاتمة المقيتة بعض ملامحها في القلم بعض الأدباء الذين يقدون أقلامهم من قصاصات بعض بعض الصحف - وتتسرب هذه الصورة إلى العمد الارهابي الاعلامي فيندفع - إنطلاقا منها - ليضغ الرماد من النار ويصب الزيت على الغليل فيعرض دولة عربية على أخرى - ويصور أي نقاش أو خلاف جزئي بين دولتين عربيتين في صورة الحرب والفروس ليتخذ من نفسه وصيا على (الحقيقة) وهي (السلام) ليتصدر هذه المكرمة على ذلك وليسعر من وراء عمله أن يستفيد من ميزانية إعلام هذه الدولة على حساب ذلك .

ومن هذا المنطلق يأخذ (الحق) في توزيع الألقاب وتحليل المذاهب والسياسات والقوس العميق في أعماق العثرات والمشاكل التي يتخبط فيها كل بلد عربي - وما البلاد العربية إلا نموذج للمشاكل التي تتخبط فيها كل شعوب العالم .

مصادر الارهاب

مصادر هذا الارهاب في الاعلام الأجنبي هي فيما نحسب :

- الصورة القديمة التي أخذها الأجانب عن الوطن العربي قبل استقلاله وأثناء استعماره - وهي صورة رسمها المطبور الخامس الذي مهد للاستعمار ويتكون من مؤرخين وجغرافيين وصحفيين وكتاب سياحة ومخربين وعسكريين وحكام تولوا مناصب الحكم في الوطن العربي - ولم يأخذوا من معنى الحكم إلا صيغة (التحكم) .

ولقد ظلت هذه الصورة المقيتة تنتشر وتأخذ فعلها في النفوس والعقول حتى تلقفها الاعلام الحديث كأساس يبني عليه

● شبكة مسئولية الإعلاميين العرب - إنهم مدعوون إلى اختراق الحجاب الذى تضربه إسرائيل حول القضايا العربية

الرؤية الجديدة لهذا الوطن .

ـ الداء الذى استكم فى بعض الطبقات التى مرت من هنا كمستعمرين ومغتصبين للأرض أو كالقتصاد والمعادن والمناجم والمال والحكم والسيادة والسلطة ، ويوم استقلت شعوب الوطن العربى واحدا بعد الآخر حسب هؤلاء أن هذه الشعوب تغتصب منهم ما استكثره ـ ولو بوضع اليد ـ وان استرجاع الوطن العربى لشخصيته وهويته وارضه وثرواته إنما سرقة تستحق صاحبها العقاب والاعلام المضاد إحدى وسائل العقاب .

ـ الحملة المسعورة التى تقوم بها الصهيونية العالمية ضد الوطن العربى ، وهى حملة منظمة مدروسة علميا تشمل مختلف انحاء العالم والقطاع الغربى منه على الأخص . لا تهدم بميدان الصراع مع العرب من أجل قضية فلسطين والأراضى العربية المحتلة فحسب ولكنها توسع مجال الحملة لتشمل مختلف القطاعات العربية ومختلف البلاد العربية . ويستهدف هدم كل ما يبنيه العرب من جسور التفاهم العالمى فى الميادين الاقتصادية والثقافية والتكنولوجية .

ـ الاحتكار الاعلامى المسيطر على مختلف أجهزة الاعلام فى العالم الغربى وهو احتكار فى معظمه ايديولوجى راسمالى يخدم مصالح معينة معظمها كانت لها سيطرة على اقتصاديات الوطن العربى فى مشرقه ومغربه ، ومعظمها لا يزال يمد اخطبوطه فى العالم العربى ويسوده أن يتحرر اى جزء من الوطن العربى من هيمنة احتكاراته . ولذلك فهو يسخر أجهزة الاعلام عن طريق الارهاب ليسمم الراى العام ضد الوطن العربى . وهو لا يريد أن يخدم مصالحه فحسب ، ولكنه يستهدف تاليب الراى العام فى أوربا وامريكا والبلاد التى تخضع إعلاميا للأجزة المعتمدة من هاتين القارتين ضد الوطن العربى والمواطن العربى . والراى العام يضغط على الحكومات حتى لا تكون مى أى اتجاه تحريرى اقتصادى أو اجتماعى أو عسكرى فى الوطن العربى .

ومعروف ان اسرائيل تشارك فى هذه الاحتكارات الراسمالية الاعلامية عن طريق

الشركات والشخصيات التى لاسرائيل نفوذ طيها وهى تستغل هذا النفوذ لزيع استغلال لتحاصر الوطن العربى إعلاميا . والمحاصرة الاعلامية إسهام كبير فى المحاصرة السياسية والعسكرية .

هذا الارهاب ، الذى يتجلى اساسا فى المظاهر التى تحدثنا عن بعضها يؤكد أن الاعلام الغربى عموما ، وبنه الاعلام الأوربى ، لم يدرك بعد حريته . الحرية الحقيقية لا تتجلى فى القوانين التى تبيح النشر والتعبير ، ولا فى ممارسة هذه الحرية الظاهرية فحسب ، فهذه الحرية اداركها الاعلام الغربى منذ عشرات السنين ولكن الحرية الحقيقية هى الا تتحكم فى التعبير عن الراى الحر افكارا عدائية مسبقة صادرة عن استعمار أو استغلال أو كراهية عنصرية أو عرقية أو احتكارات راسمالية تدافع عن مصالح إقطاعية خاصة . ومن المؤسف ان التوجيه الصحفى والاعلامى عموما وان العقول المفكرة فى الميدان الاعلامى والاقلام المتحررة لم تتحرر من هذه السيطرة رغم ما يبدو من أن الاعلام الغربى مدرك حريته متمتع بكامل صلاحيته .

الصورة المقابلة للارهاب الاعلامى الغربى هى التى يقدمها ما يمكن أن نسميه بالارهاب الاعلامى العربى ولنبحث الان عن ظاهراته علنا نخبىء خطواتنا فى طريق البحث عن التخلص من ردود فعل هذا الارهاب أو ذاك .

وتتمثل الصورة فى الفكرة التى يأخذها العرب عن الغرب الأوربى خصوصا وهى منطقة من الصورة التى قدمها الاستعمار الغربى عن بلاده . صورة الظالم المستغل المتعصب السارق لخيرات البلاد المتحكم فى الانسان إلى درجة الاستعباد القائل من خلال حروبه التى شنها على الوطن العربى ومن خلال أحكام معاكسة وأعواد مشنقته ، المضطهد من خلال المبز العنصرى الذى استعمله فى ميدان التعليم والصحة والاسكان . والفرص غير المتكافاة فى ميدان الاقتصاد والاجتماع والعمل والكسب والاداء المغتصب من خلال الأرض التى انتزعها من المواطن العربى ليقدمها للمستعمر الغربى وليجعل من صاحب الارض عبدا مسخرا فى خدمة وارث الارض الجديد . المتامر من خلال زرع كيان غريب فى الوطن العربى قوامه لقطاء من مختلف انحاء العالم . اعظامهم الارض والدولة والحكم والسلاح وصفة الشعب ووقف خلفهم يمدهم بقوة السلاح والمال والسياسة والدبلوماسية . ويمكنهم من الانتصار فى كل حرب يشنونها على الشعب الذى اغتصبوا ارضه والدول التى احتلوا أجزاء من اطرافها .

انطبعت هذه الصورة على الاعلام العربى ، بل على الادب العربى كما انطبعت الصورة المعاكسة على الاعلام الغربى والصهيونى وعلى الأدب الغربى والصهيونى .

العلاقات بينهما

فى وسط صراع الأعلامين المتناقضين كان الخاسر هو العلاقات بين الشرق والغرب بين العرب وبلاد أوربا على الأخص . كثير من المظاهر التى يصورها الاعلامان ـ وخاصة الاعلام العربى عن الغربى صحيحة ـ ولكنا لا نملكم اليوم هذا الاعلام أو ذاك من وجهة نظر مزوج أو اخلاقى . غير أن الاعلام العربى لا يستند إلى قوة تعادل أو تقترب من القوة الاحتكارية الخطيرة التى يستند إليها الاعلام الغربى فى هجمته الشرسة على الوطن والمواطن العربى . بل أن الاعلام العربى يقع ضحية أجهزة الاعلام الغربى المتحكمة . فكل وسائل جمع الاخبار وتدفقها وإذاعاتها بين يديه ويملك كل مصادر الأخبار والتجهيز

الإعلاميين الأوروبيين والعرب

والفنى والخبرة الاعلامية . وهو لا يتعامل مع الوطن العربى فى هذا الميدان من منظور تجارى صرف . ولكنه يتعامل من منظور الموقع الاستراتيجى للاعلام ومدى اثره فى توجيه السياسة والدبلوماسية والاقتصاد . ولذلك فهو ينفذ من الاعلام الذى يصدره ويصدر تجهيزاته وادواته وسيلة ضغط وتحكم ، كما يتخذ من المادة الاعلامية التى يصدرها وسيلة توجيه وغزو فكرى .

فى هذا الاطار غير المتكافىء بين الاعلاميين تعيش العلاقات التى يراد لها ان تتجدد فى ميدان الاقتصاد والتجارة والخبرة التكنولوجية بين الوطن العربى وأوربا .

اوربا انفتحت على تاريخ العربى اقتصاديا . وكان ذلك منذ ظهر النفط ، ولكن الشركات الغربية كانت تتحكم فى النفط فكانت اوربا (تتفاح) على شركاتها إذ كان المال مضمونا . . . وكان الوطن العربى غير متفتح إلا على الجانب التجارى الاستهلاكى وهذا ايضا كان مضمونا وكان متقدما على شيء آخر هو الادخار فى البنوك الاوربية والامريكية من جهة ، والاستهلاك السياحى من جهة أخرى . وهذا ايضا كان مضمونا . ولكن تأميم النفط ـ كلا أو بعضا ـ فى الوطن العربى والتحكم فى انتاجه وتسويقه واستخدامه كسلاح بعد حرب رمضان لفت النظر إلى هذا المصدر الضخم من مصادر الثروة والطاقة بشكل يوحى بأن هؤلاء الذين التفت نظرهم لم يكونوا يعرفون أن هناك شيئا إسمه النفط وبلاء النفط .

اقترن ذلك بالاندفاع الهائل فى المنطقة العربية نحو البناء الاقتصادى . مشاريع وعمرانى وسياحى . المشاريع الضخمة التى تقوم فى البلاد العربية النفطية لفتت الأنظار . انظار الشركات المنتجة والحكومات فى الغرب الى الثروة الواعدة مع هذه المشاريع . ومن هنا انطلقت الاقطار العربية لتحتل رأس قائمة البلاد التى تستورد مشروعات ضخمة : طرق وبنايات ومعامل ومصانع وخبرة وتكنولوجية التطور الاقتصادى هذا وضع البلاد الاوربية والغربية عندما موضع المتابعة الى الوطن العربى لانتقل من حاجة البلاد العربى إلى أوربا .

واقترنت هذه (الحاجة) المتبادلة بالازمة الاقتصادية التى بدأت تخنق على الغرب . والتى دفعت بكثير من الملاحظين الاقتصاديين أن يقولوا ان العالم سيشهد ازمة شبيهة بأزمة ١٩٢٩ واقترنت الازمة بالتضخم والبطالة المتفشية حتى ان كثير من المحامل بدأت تستغنى عن نسبة مهمة من عمالها . كما ذلك لا يبقى تضاعف أرباح الشركات الكبرى الاحتكارية وفى مقدمتها شركات البترول التى حققت أرباحا ضخمة إضافية من ارتفاع سعر البترول .

هذا كله ليس إلا مظهرا لخلل اقتصادى ونقدى نتيجة لعجز الرأسمالية العالمية عن اكتشاف نظام اقتصادى متجدد ويستجيب لتطور العالم وحاجات الانسان ويجيب عن الحاجة إلى توازن بين العالم الثالث والعالم المتقدم اقتصاديا وصناعيا ، بل يجيب عن الحاجة ايضا إلى توازن بين طبيعات العالم المصنع نفسه .

الاضطراب الاقتصادى والنقدى فى الغرب وفى أوربا بخاصة عمق الرغبة فى الاضطراب الاقتصادى والنقدى فى الغرب وفى أوربا بخاصة عمق ارغبة الغرب فى البحث عن مجالات العمل والاستثمار فى الوطن العربى . وهذا ما أعطى بعدا كبيرا للمصالح المتبادلة بين الطرفين . وهذه المصالح المتبادلة فى حاجة إلى إعلام يخدمها .

الاعلام هو الذى يوضح أبعاد هذه المصالح ، وهو الذى يقدم أحد الطرفين للآخر . وهو الذى يهدم الستور الذى تقف دون تفاهم الطرفين ، وهو الذى يزيب الجليد الذى تراكم من عهد العلاقات السيئة بين الوطن العربى واوربا ـ وهو ـ بكلمة واحدة ـ الذى يستطيع أن يقيم علاقات جديدة على أسس جديدة من التفاهم والتعاون يحسن نية ، او يهدم هذه العلاقات .

فهل الاعلام الحالى قادر على ذلك ـ

الاعلام فى وضعه الذى وصل إليه ـ عربيا كان او اوربيا ـ لم يتحرر بعد من رواسب الماضى ولذلك فهو غير قادر على أن يخدم ما يأمله الطرفان من بناء عهد من التعاون يعتمد على أن يقدم كل من الطرفين ما يملكه من مال او طاقة او خبرة او صناعة او تكنولوجية لبناء جسر من التعاون لمصلحة التنمية الاقتصادية والثقافية والفكرية والفكرية ، لبناء عالم يسوده السلام والأمن والتفاهم .

ولكن هذه الوضعية ليست حتمية ولهذا يجب التفكير فى خلق سبل للاتصال والتفاهم بين رجال الاعلام فى أوربا والوطن العربى . وكان هذا هو موضوع الحوار العربى الاوربى فى ميدان الاعلام الذى دعا إليه اتحاد الصحفيين العرب ، ونظم فى بغداد فى أواخر شهر يناير (كانون الثانى) .

والذى نأمله هو أن يكون الحوار قد أسقط الأقنعة عن المظاهر السلبية للاعلام وحطم السد الذى بناه الاعلام المنحرف بين العرب والاوربيين . وهو أمل لا يمكن أن يتحقق بمجرد لقاء بين مجموعة من رجال الاعلام عرب واوربيين ، ولكنه قد يأخذ طريقه للتحقق إذا بذلت لجنة المتابعة التى انبعثت عن الحوار مجهودات متجددة لتحقيق اهداف الحوار . والحد الادنى الذى أعلنه البيان الصادر عن الملتقى فى القضايا الاساسية وفى مقدمتها القضية الفلسطينية .

وتبقى بعد ذلك مسئولية الاعلاميين العرب وهم مدعوون إلى اختراق الحجاب الذى تحاول اسرائيل أن تضربه حول القضايا العربية ، وإلى إيضاح الصورة المشوهة التى يرسمها الاعلام الاسرائيلى والاعلام الاوربى المتعاطف مع اسرائيل للوطن العربى . إعلامنا قادر على المساهمة فى تغيير الصورة إذا ماالتقتحم الميدان الاعلامى فى أوربا بالملفات التى يفهمها الاوربيون ويالمنطق والعقلية الأوربية وبالخبرة والممكنات الذين يملكهما العرب .

لقد هاجرت اقلام عربية ومجلات عربية إلى باريس ولندن ، ونقلت معها خبرتها ، وتستثمر أموالا طائلة عربية فى أوربا لتخدم القارىء العربى . هنا أوربا من هذا الاعلام استثمار رؤوس أموال وتحقيق أرباح وصرف أموال وكل هذه المجلات والصحف كان يمكن أن تصدر عن عواصم عربية فتتحول مردودية الاستثمارات الصحفية إلى أبناء العرب وتصرف الأموال المتحركة فى هذا القطاع بين مواطنين عرب .

وهنا تبرز مسئولية الاعلاميين العرب لتحويل هذا الجمهور لمضاطبة القارىء الغربى فى قضايا الوطن العربى بالمنطق الذى يفهمه واللغة التى يقرأ بها .

وتلك إحدى وسائل الحوار الذى نأمل أن نحصل عن طريقه إلى إقناع .

الرباط : عبد الكريم غلاب